العلاقات الروسية- الأمريكية من الشراكة الإستراتيجية إلى المنافسة الجيوسياسية (2001 م- 2008 م)

أ.م.د . نزار اسماعيل الحيالي [*] م.د . عبد الحميد العيد الماوساوي [**]

المقدمة

لقد تحولت الشراكة الأمريكية– الروسية لمحاربة الإرهاب المسماة بـ:(الشراكة الإستراتيجية) والتي عقدت غداة أحداث الحادي عشر من أيلول العام 2001م، إلى منافسة جيوسياسية* ،يحاول فيها كل واحد منهما تعزيز قدرات نفوذه النسبية على جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق.

ولما كانت سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه روسيا الاتحادية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة هي سياسة ثابتة تتمثل في العمل على أعاقة أعادة ظهور روسيا الاتحادية كقوة إقليمية مهيمنة دبلوماسياً واستراتيجياً، أو كقوة شاملة منافسة أو ندّ لها، فإنّ النزاع الأخير في (القوقاز) يفسّر ذلك بعدما تطورت السياسة الخارجية الروسية، إذ تسعى موسكو من اجل الظهور كقوة إقليمية دبلوماسياً واستراتيجياً، وهكذا فإنّ للنزاع الأخير في (القوقاز) بين روسيا الاتحادية وجورجيا وجهان : فعندما هاجم اوسيتيا الجنوبية، أسهم الرئيس الجورجي (ميخائيل ساكاشفيلي)** المحاط بمستشارين أمريكيين في استراتيجية تهميش روسيا الاتحادية التي اتبعها الحلف الأطلسي منذ العام 1991م، ولكن من خلال سرعة وقوة الرد، فإن (الكريملين) أراد إيضاح أن حقبة التساهل قد ولت نهائياً، إلاّ أن هذا النزاع يرتسم على الأمد البعيد، وهو أمد دوامة التاريخ الإقليمي[1].

1- إشكالية العلاقات الروسية– الأمريكية من العام 1991– الى العام2008:

إن سياسة الإعاقة الأمريكية لدور روسيا الإقليمي والدولي ماثلة لدى القيادة الروسية، ولذلك فإنّها قد تشكّل حافزاً للروس لإسقاط هذه السياسة، لانّ روسيا ليست كتلةً جامدةً، فهي قوة كبرى حتى قبل أن تتأسس الولايات المتحدة الأمريكية، وقد علمتنا حقائق التاريخ بان روسيا قد تخبو في حقبة تاريخية معينة، لكنها تنهض من جديد في حقبة أخرى، وأحداث النزاع الأخير في (القوقاز)، واغتصاب روسيا الاتحادية لاوسيتيا الجنوبية، وأبخازيا، من جورجيا المرشحة لنيل عضوية الناتو دلالة على هذا الانطلاق الجديد، بل إن التحليل لا يستبعد أن تعزز روسيا

(*) كلية العلوم السياسية- جامعة بغداد.
(**) مركز الدراسات الفلسطينية-جامعة بغداد

* (الجيوسياسية) وتسمى أيضا (الجيوبولتيك)، وهي: دراسة العلاقات بين العوامل الجغرافية، والأعمال، والأوضاع السياسية، انظر: موسى ألزعبي، الجيوسياسية والعلاقات الدولية، ط1، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، 2004، ص5، وأنظر كذلك إلى: عبد القادر محمد فهمي، المدخل إلى دراسة الإستراتيجية، ط1، دار الرقيم، بغداد، 2004، ص48-49.
ويرى أليكسندر دوغين:أن الجيوبوليتيكا هي رؤية للعالم، وهي وجهة نظر السلطة،إنها علم السلطة ومن أجل السلطة، فهي علم الحكم،أنظر: أليكسندر دوغين،أسس الجيوبوليتيكا، مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي، تعريب عماد حاتم، دار الكتاب الجديد المتحدة،طرابلس، الجماهيرية العظمى،2004،ص57-59-60.

** (ميخائيل ساكاشفيلي) هو رئيس جمهورية جورجيا المنتخب، يجيد العديد من اللغات، ويحمل شهادة جامعية في القانون من جامعة كولومبيا، انظر: "Le Retour Russe" ",Sege Halimi, Le monde diplomatique, Septembre 2008.

1 - عندما يلعب الكبار في اوسيتيا، جان رادفانيي، لوموند ديبلوماتيك، الطبعة العربية، أيلول/سبتمبر2008.

هذه الانطلاقة لمنافسة حقيقية في أقاليم جيوستراتيجية أخرى ذات أهمية حيوية للمصالح الأمريكية كإقليم آسيا الوسطى، والقوقاز ، والشرق الأوسط، والبلقان.

ولذلك فانّ أهمية هذه الدراسة تنطلق في البحث عن هذه الانطلاقة الروسية الجديدة، وانعكاساتها على مجمل العلاقات الروسية–الأمريكية، عن طريق الافتراض: أن المتغيرات التي حصلت على عناصر القوة الروسية للمدة من العام2001م–والى العام2008م، قد تخلق لدى القيادة الروسية إرادة الصعود نحو العالمية مرة أخرى.

2– تطور السياسة الروسية من العام 1991 م–إلى العام 2008 م

لقد عرفت روسيا الاتحادية تراجعاً على الساحة الدولية بين العامي 1993م–2001م، وقد غدى عجزها الجيوسياسي، وانسحابها الاستراتيجي، وانحدارها الاقتصادي، واصطفاف كل توابعها السابقة واغلب جمهورياتها السابقة(عدا بيلاروسيا)، فضلاً عن تقلّص دائرة نفوذها لاحقاً (تمثل في ارتداد دول البلطيق، وأوكرانيا، ودول القوقاز ، و آسيا الوسطى) الديناميكية الكبرى للنظام الدولي في مرحلة ما بعد الحرب الباردة.

وقد رسملت إدارة الرئيس (بيل كلينتون)، القوية بإجماع حزبيها الديمقراطي والجمهوري على هذا التراجع الدولي لروسيا الاتحادية في عهد الرئيس (بوريس يلتسين) من اجل تطويق روسيا، ومن ثم حصر القوة العظمى السابقة التي أصبحت غير ضرورية، والحيلولة دون أعادة ظهورها كقوة إقليمية مهيمنة، وقوة شاملة ندّ لها، ولاسيما أنها القوة الوحيدة في العالم القادرة على تدمير الولايات المتحدة الأمريكية[2].

وقد افتكت الإدارة الأمريكية تنازلات جيوسياسية ثمينة من (الكريملين) قبالة دمج روسيا الاتحادية شكلياً في النظام الاقتصادي الدولي، إذ انضمت روسيا الاتحادية إلى مجموعة الدول الصناعية الكبرى لتتحول إلى مجموعة الثمانية الكبار (G8) في حزيران/ يونيو من العام 2002م[3]. فقد سحبت روسيا الاتحادية جيوشها من أوروبا، وسمحت للولايات المتحدة الأمريكية تعزيز وتقوية مؤسسات الحرب الباردة بعد نفاذ مدتها*، ولم تصمد موسكو أبدا قبالة التوسع الأول لمنظمة حلف شمال الأطلسي (NATO) في العام1999م، عندما انضمت هنغاريا، وبولندا، وجمهورية التشيك إلى الحلف[4].

---

[2] - Paul Marie de la Gorce, Washington et la maitrise du monde, le monde diplomatique, avil 1992.

[3] - العلاقات الروسية- الاوروواطلنطية بين المصالح الوطنية والشراكة الإستراتيجية، نورهان الشيخ، مجلة السياسة الدولية، العدد (175)، القاهرة، 2007، ص46.

*** كان الحلف الأطلسي قد انشأ أصلا لحماية أوربا الغربية ضد العدوان الشيوعي السوفيتي، ولكنه تكيف لاحقا مع تهديدات القرن الحادي والعشرين، وطوّر نفسه سياسيا، وحصل على قدرات عسكرية جديدة، وقام بمهام كبرى جديدة في مواجهة الإرهاب العالمي على خطوطه الأمامية، للمزيد أنظر:"يبقى الحلف الأطلسي = = تحالفنا الأساسي"، السفير نيكولاس بيرنر، منشورات وزارة الخارجية الأمريكية في 17 أيلول سبتمبر، 2004م ،على الموقع: www.usinfo.stele .**

[4] - Nicolas Martin- Lalande, Relation Washington et Mosco, centre d etude Transatlantique,France,Juillet 2007.

وقد تعرضت روسيا الاتحادية للأهانات من الحلف الأطلسي عندما شاهدت الرئيس القومي للفيدرالية اليوغسلافية (سلوبودان ميلوسوفيتش) يستسلم قبالة قوات حلف الناتو في العام نفسه** ،فقد كانت دولة يوغسلافيا تتطلع إلى اتجاهين: إذ كانت كرواتيا، وسلوفينيا تتطلع نحو ألمانيا الغربية وايطاليا، في حين كانت صربيا تتطلع نحو الشرق الأرثوذوكسي، وكان هذا التصدع لمصلحة التغيير في علاقات القوة في القارة الأوربية ابتداءاً من العام 1990م، وأشار ظهور البوسنة، والاضطرابات في ألبانيا إلى أهمية الإرث العثماني في المنطقة الذي يرجع إلى العام 1389م، إذ كان الصربيون يخشون من مغادرة أرضهم تحت ضغط تقدم العثمانيين في ذلك التاريخ[5].

وقد استرجعت روسيا الاتحادية خسارتها الجيوستراتيجية غداة أحداث الحادي عشر من أيلول العام 2001م، وقد عرفت موسكو الاستفادة بشكل جيد على اثر الهجمات التي تعرض لها برجي التجارة عندما أصبحت مفيدة لصناع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، تلك الشراكة التي سمحت لها بالعثور على وسيلة تأثير ونفوذ على واشنطن، والاستفادة من البيئة السانحة الناجمة عن أعطاء الأولوية للأمن القومي في الولايات المتحدة الأمريكية (الحرب على الإرهاب) في قمة تراتبيه المصالح القومية الأمريكية[6]، وفي إطار هذا التوجه أيدت روسيا الاتحادية الغزو الأمريكي لأفغانستان في أكتوبر/تشرين أول العام 2001م، بل سهلت على الولايات المتحدة الأمريكية الحصول على قواعد عسكرية في بعض دول آسيا الوسطى، كما في أوزبكستان، واقترح الرئيس(فلاديمير بوتين)*، على الولايات المتحدة الأمريكية في 23 مايو 2002م، التعاون في مجال الدفاع الصاروخي، وهو الأمر الذي سبق وان اقترحه الرئيس السابق (بوريس يلتسين) في العام 1993م[7].

لقد ضبطت روسيا الاتحادية التزاماتها من اجل تسوية الأقلية الإسلامية (التي تمثل 1/7 من مجموع (140)مليون نسمة)، وحجمت دور المعارضة الداخلية، ووسعت من دائرة نفوذها الإقليمية عندما حذت حذو القوات الأمريكية، فقد قبلت روسيا نشر الجنود الأمريكيين في آسيا الوسطى وتعاونت في مجال تبادل المعلومات في أثناء النجاحات الأولية Enduring freedom[8].

** تعدّ صربيا أقوى حليف تاريخي لروسيا في البلقان بحكم التراث ألسلافي- الأرثوذوكسي المشترك، إذ أن روسيا القيصرية دخلت الحرب العالمية الأولى من اجل صربيا، فيما يعدّ استقلال كوسوفو عنها إنما يعني ضربة كبرى للفكرة الصربية ذاتها، للمزيد انظر:العلاقات الروسية الأطلنطية بين المصالح الوطنية والشراكة الإستراتيجية نورهان الشيخ، مصدر سبق ذكره،ص 46.

[5] - موسى ألزغبي، الجيوسياسية والعلاقات الدولية، مصدر سبق ذكره، ص100.

[6] - Nicolas Martin- lalande, op cit.

* - (فلاديمير بوتين) من مواليد 17 أكتوبر من العام 1952، في مدينة لينينغراد(سان بطرس بيرغ حالياً) درس القانون، واختار الخدمة في جهاز امن الدولة(كي جي بي سابقاً)، أصبح (بوتين) رئيساً للوزراء في العام 1999،ثمّ تولي الرئاسة لاحقاً خلفاً للرئيس(بوريس يلتسين).

[7] - لقد أدت أحداث 11أيلول العام 2001م، في الولايات المتحدة الأمريكية وما تلاها من تحولات في الإستراتيجية العالمية للولايات المتحدة الأمريكية نحو الحرب الهجومية، وعدّ (الإرهاب) بمثابة القضية المحورية للسياسة الأمريكية إلى حدوث تحول في السياسة الخارجية الروسية نحو التوجه الاورو-أطلسي، وقد سعى الرئيس (بوتين) إلى استثمار التحول الأمريكي بإحداث تحوّل مماثل نحو دعم الإستراتيجية الأمريكية الجديدة من خلال تقديم روسيا على أنها شريك في محاربة الإرهاب، آملاً في الحصول على دعم أمريكي ضد الحركة الانفصالية الشيشانية، والتخلص من النظام الأفغاني المناوئ (نظام طالبان)، والحصول على دعم اقتصادي .
انظر:"التحولات الكبرى في السياسة الخارجية الروسية"، محمد السيد سليم، مجلة السياسة الدولية، العدد(175)،ص43.

[8] - Nicolas Martin- lalande, op cit.

ولم تصمد روسيا الاتحادية سوى قليلاً قبالة التوسع الثاني لحلف شمال الأطلسي على جبهتها الغربية نحو الدول العازلة في البلطيق، وأوربا الوسطى، والشرقية في العام 2004م، ففي تلك الحقبة الحاسمة حصلت تطورات حاسمة تزامنت مع اكبر توسع للحلف الأطلسي منذ تأسيسه في العام 1949م، وقد شكل اجتماع القمة في اسطنبول أول اجتماع لرؤساء دول الحلف بمشاركة (26) دولة من الأعضاء، إذ ساعد في انضمام الدول السبع إلى الحلف، وهي: (بلغاريا، واستونيا، ولاتفيا، وليتوانيا، ورومانيا، وسلوفاكيا، وسلوفينيا) إلى أن أتم الحلف اكبر حلقة توسع له خلال خمسة وخمسين عاماً من تاريخه[9].

وعلى الرغم من ذلك كانت روسيا الاتحادية تعمل على أعادة ظهورها كقوة إقليمية منذ العام 2004م، مع أن سياسة أدارة الرئيس جورج بوش –الابن– تجاه روسيا الاتحادية المدعومة بإجماع الحزبين، وكذلك واصلت النهج نفسه للإدارة التي سبقتها على الرغم من تنازلات روسيا، فالإستراتيجية الأمريكية تتمثل دائماً في الإطاحة بروسيا، وزعزعة مكانتها في المجال السوفيتي السابق للحيلولة دون ظهورها ثانية كقوة منافسة لها، ومعناها: العمل على المزيد من أضعافها، وفي سبيل تحقيق ذلك عملت الولايات المتحدة على التحرك والتدخل في دوائر النفوذ التي تصعب على موسكو الدفاع عنها من اجل طردها، ومساندة القوى السياسية الموالية للديمقراطية ،فضلاً عن العمل على تشكيل المعارضة التي تولد عبر التظاهرات الديمقراطية، وكذلك أيضا زيادة عدد المناورات العسكرية[10].

لقد أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية الفاعل الرئيس من خارج المنطقة الإقليمية في المجال السوفيتي السابق–مع حلف الناتو، بالقرب من بحر البلطيق، وتركيا في منطقة القوقاز، وجمهورية الصين الشعبية في آسيا الوسطى[11].

وقد أعاد وزير الدفاع الأمريكي آنذاك (دونا لد رامسفيلد) نشر التشكيلات العسكرية الأمريكية القائمة منذ الحرب الباردة في بلغاريا، ورومانيا، وبولندا، فيما قدمت المؤسسات والمنظمات الأمريكية دعماً مالياً وتنظيمياً إلى التظاهرات الملونة التي اجتاحت جورجيا، وأوكرانيا، قيرغيزستان، وهيّجت الاثنيات والأقليات القومية في الجمهوريات المستقلة من الفدرالية، مثل(البشكير، والتشوفاش، والنتارستان)، وأغلبية جمهوريات الفيدرالية من القوقاز إلى الشمال. فقد انفجرت في القوقاز، وفي آسيا الوسطى حروباً قبلية منذ العام 1989م، أضعفت روسيا في هذه المناطق[12].

ومنذ ذلك الوقت حلّت المصالح الجيوسياسية المتنافسة محل مصالحهما النادرة في ميداني (الطاقة، والاقتصاد) لاسيّما وأن التجارة البينية بينهما ما تزال واهنة، فضلاً عن عدم توصل المجموعة الروسية في

---

[9] -" يبقى الحلف الأطلسي تحالفنا الأساسي"، السفير نيكولاس بيرنز، مصدر سبق ذكره.

[10]- Nicolas Martin- lalande, op cit.

[11] - Ibid.

[12] - موسى الزعبي، الجيوسياسية والعلاقات الدولية، مصدر سبق ذكره، ص101.

الولايات المتحدة الأمريكية إلى تكوين لوبي فاعل في واشنطن، لاسيما وأن الضغط على روسيا عن طريق التجارة سيكون مكلفاً ومؤذياً للأوربيين والأمريكيين على حدّ السواء، أكثر من تكاليفه وأضراره على روسيا[13].

لكن الرئيس الروسي (فلاديمير بوتين) كان قد امتلك منذ العام 2004م، الوسائل لتحقيق رغباته، إذ يتمتع الرئيس (بوتين)–على عكس الرئيس (بوش) الابن– بهامش تحرّك سياسي ودبلوماسي بفضل دعم الرأي العام المعبأ بشعارات بعث الهوية القومية، فضلاً عن دبلوماسية البترول بعد أن تحققت رفاهية القطاع العام العامل[14]. لقد تحقق ذلك بفضل نجاح الرئيس (فلاديمير بوتين) خلال ثماني سنوات، عندما ركّز في تطوير المجال الاجتماعي، ومحاربة الفساد، كما أدى ارتفاع أسعار النفط وارتفاع عائدات مبيعات الأسلحة في تحسين الوضع المالي لسلطة (الكرملين) ما زرع عامل الثقة، إذ كل ذلك جاء على خلفية نجاح فريق الرئيس (بوتين) في معالجة آثار كوارث حقبة التسعينات التي كادت تفلس فيها روسيا الاتحادية، وتجردها حتى من وجودها الجيوسياسي في اقرب المناطق لها[15].

لقد انتفض الرئيس (فلاديمير بوتين) واصفاً انهيار (الاتحاد السوفيتي) بأكبر كارثة جيوبوليتيكية في القرن العشرين، ووضع حداً لمرحلة الانتظار، وانتقل من مرحلة الدفاع إلى الهجوم البلاغي والجيوسياسي من أجل تعزيز الوحدة الإقليمية للفيدرالية الروسية، ومن ثمّ إرساء مكانتها[16].

لقد سعى الرئيس (بوتين) عندما جاء إلى السلطة في يناير العام 2000م، إلى تعميق التوجه الاوراسي لروسيا الاتحادية، وقد قدم عدة مبادئ عرفت فيما بعد باسم "مبدأ بوتين"*، وقد أدرك (بوتين) في الخسارة الإستراتيجية الأمريكية في العراق وأفغانستان العثور على نافذة أمل، وهكذا سهر الرئيس (بوتين) على إعادة بعث

---

[13] - "روسيا والغرب، هل تصلح العقوبات لإدارة العلاقات" ،احمد السيد نجار، تحليلات عربية ودولية، منشورات مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية الأهرام ، العدد(44467)، القاهرة، سبتمبر/أيلول 2008.

[14] - Nicolas Martin- lalande, op cit.

[15] - "روسيا من بوتين إلى مدفييف"، د.أشرف الصباغ، مجلة الأهرام العربي، العدد (573)، في 15 آذار 2008، القاهرة، ص18.

[16]- Nicolas Martin- lalande, op cit.

*** يتضمن مبدأ بوتين العناصر آلاتية:**

- **التركيز في برامج الإصلاح الداخلي على حساب السياسة الخارجية.**
- **التركيز في تطوير دور روسيا الاتحادية في عالم متعدد الأقطاب لا يخضع لهيمنة قوة عظمى واحدة.**
- **العمل على استعادة دور روسيا الاتحادية في آسيا والشرق الأوسط.**
- **عدم السماح للغرب بتهميش دور روسيا في العلاقات الدولية.**

ثم أضاف الرئيس (بوتين) ثلاثة عناصر جديدة في السياسة الخارجية الروسية وهي:

1. **إذا أستمر توسع حلف الناتو شرقاً فأن روسيا ستسعى إلى دعم الترابط بين جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق لحماية منطقة دفاعها الأول.**
2. **معارضة روسيا للاتحادية القطبية، ولكنها ستعمل مع الولايات المتحدة الأمريكية في قضايا عدة مثل: الحد من التسلح، وحقوق الإنسان.**
3. **إن روسيا ستعمل على دعم بيئتها الأمنية في الشرق، ومن ثم في تقوية علاقاتها مع الصين، والهند، واليابان.**

أنظر: "التحولات الكبرى في السياسة الخارجية الروسية"، محمد السيد سليم، مجلة السياسة الدولية، العدد(170)، مصدر سبق ذكره، ص42-43.

للكريملين– دبلوماسياً واستراتيجياً– كقوة إقليمية، مستغلاً خسارة هيبة البيت الأبيض كسلطة أخلاقية، وكمصداقية إستراتيجية، وقد أعلن الرئيس (بوتين) عن نيّاته، وتصدّى للانتقادات[17].

ويعود هذا التحول للرئيس (بوتين)، والتوجه نحو اوراسيا إلى عدة عوامل أهمها: السياسة الانفرادية التي اتبعتها الولايات المتحدة الأمريكية بعد أحداث الحادي عشر من أيلول العام 2001م، والتي همشت الدور الروسي عن طريق عدم اكتراثها بالمعارضة الروسية لغزو العراق في شهر آذار/ مارس العام 2003م، أو التشاور مع روسيا حول مستقبل إقليم كوسوفو، فضلاً عن ارتفاع أسعار النفط التي حققت زيادة في الناتج القومي الروسي[18].

وقد حذّر الرئيس (بوتين) في أثناء المؤتمر(43) في ميونخ حول السياسات الأمنية في شهر شباط/ فبراير من العام 2007م، أدارة الرئيس (بوش) من أن لجوئها الأحادي إلى استخدام القوة المسلحة ومشروعها لنظام الدفاع المضاد للصواريخ البالستية في أوربا، ورأى في ذلك تشجيع للدول المارقة على حيازة السلاح النووي، وكذلك إلى سباق جديد للتسلح[19].

وفي مناسبة الانتصار السوفيتي في (ستالينغراد) على النازية أشار (بوتين) إلى: "أن الأخطار التي شكلتها النازية لم تختف، وإنّما اتخذت أشكالاً جديدة، فأفكار الرايخ الثالث التي تتسم باحتقار البشر، والسعي للهيمنة على العالم ما زالت قائمة"، مما كان يعدّ إشارة إلى أن الخطر الأمريكي يعادل الخطر النازي[20].

وقد تمنى لاحقا وعلانية عودة تعددية القطبية، وتوزيع القوة الأحادية التي كان يصفها بأنها غير مقبولة، بل مستحيلة، لكي تصبح روسيا الاتحادية الشريك الذي لا غنى عنه في القيادة العالمية. وقد سبق أن رفضت روسيا الانتقادات التي أطلقها نائب الرئيس الأمريكي (ريتشارد تشيني) في أيار من العام 2006م، في ليتوانيا عن تراجع الديمقراطية في روسيا[21].

وبكل تأكيد نقول:أن التفاعلات بين الهيمنة الشاملة الأمريكية المتعاظمة والمتغطرسة، والقوة الإقليمية الروسية الساعية إلى الانبعاث من جديد تولد خلافات عدة جيوسياسية، وكذلك الحال، وعودة إلى الماضي القريب، فأنّ الشراكة التي عقدت بينهما غداة أحداث الحادي عشر من أيلول العام 2001م، تتكشف أنها شراكة لمرحلة عارضة تكتيكية أكثر من كونها لمرحلة إستراتيجية، ومع ذلك ما يزال باكراً القول والحديث عن حرب باردة جديدة، إذ أن التنافس على النفوذ ما يزال إلى الآن على مستوى الكلمات والعبارات.

أما السياسة الأمريكية تجاه روسيا الاتحادية، فهي ما تزال سياسة واقعية وبراغماتية، إذ أنّ وزيرة الخارجية الأمريكية (كوندوليزا رايس) ما تزال تتجاهل طلب نائب الرئيس (ديك تشيني) بالإطاحة بروسيا من مجموعة الكبار الثمانية (G8)، سيما وأن هذه الحرب الجديدة بينهما ما تزال محدودة جغرافياً، إذ أن مسارح

---

[17] - المصدر السبق نفسه،ص42.
[18] - المصدر السبق نفسه ، ص43.
[19] - Nicolas Martin- lalande, op cit.
[20] - التحولات الكبرى في السياسة الخارجية الروسية، مصدر سبق ذكره، ص44.
[21] - المصدر السابق نفسه، ص43.

المنافسة الأمريكية الروسية ما تزال تغطي المجال السوفيتي السابق من ناحية ، ومن ناحية أخرى، فأنّ الحديث الأمريكي الأوربي عن عرقلة استكمال انضمام روسيا إلى منظمة التجارة العالمية أو إلى مجموعة الدول الصناعية الكبرى (G8)، وتهديدها فقد استبقته موسكو بالإعلان عن قدرتها على الاستغناء عنه، فضلاً عن أن هذا التوجه سيضر بتوجه الغرب فيما يتعلق بتحرير العلاقات الاقتصادية الدولية.

وفي المطلب الآتي سنعمل على تفحص مسارح المنافسة الأمريكية– الروسية، ولو بعجالة في أوربا الوسطى والشرقية، والبلقان، والقوقاز ، و آسيا الوسطى، والشرق الأوسط.

3– المناطق الجيوستراتيجية للتنافس الروسي–الأمريكي:

تكتسي العديد من المناطق أهمية جيوستراتيجية لروسيا الاتحادية والولايات المتحدة الأمريكية في الوقت نفسه نظراً لما تتمتع به تلك المناطق من مميزات إستراتيجية، واقتصادية، وسياسية.

3–1– أوربا الوسطى والشرقية:

تعدّ منطقة أوربا الوسطى والشرقية أولى مناطق التنافس بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا الاتحادية لما تكتسيه من أهمية جيوستراتيجية لكليهما، فقد وعدت واشنطن بإقامة نظام دفاع مضاد للصواريخ البالستية في بولندا، وفي جمهورية التشيك يتمثل في إقامة محطة رادارية[22]، وتعتزم الولايات المتحدة الأمريكية الشروع في نشر بطارية دفاع جوي مزودة بصواريخ (باتريوت) في العام 2009م، بهدف أنشاء حامية لدعم بطارية صواريخ باتريوت التابعة للجيش الأمريكي بحلول العام 2012م[23]، وتتمسك واشنطن بالقول: أن مثل هذا النظام سيحميها وحلفاؤها الأوربيين من تهديد الصواريخ الإيرانية، وسيحرم طهران من فرصة التمتع بسياسة المساومة، وسيردع انتشار الصواريخ دون أن يكون موجهاً ضد روسيا الاتحادية لأنه لا يحمي واشنطن ولا حلفاؤها من إمكانية الضربة الثانية، إلاّ أن موسكو تعدّ أن المبادرة تغذي الإحساس بضعف روسيا، وتؤكد رغبة واشنطن استغلال المخاوف البولندية والتشيكية من الجار الروسي من أجل تحويل إقليميهما إلى مواقع متقدمة عسكرية[24]، ورداً على المشروع الأمريكي أعلن الرئيس (بوتين) في خطابه السنوي قبالة الجمعية الاتحادية الروسية في 26 أبريل من العام 2007م، عزم روسيا تجميد عضويتها في معاهدة الأسلحة التقليدية*، في أوربا سنة 1999م،– (وكان (يلتسين) قد فعل ذلك بالنسبة لاتفاقية العام 1990م، وتراجع عنه)–، مشيراً إلى أن روسيا تفعل ذلك من طرف واحد، كما أن الدول الجديدة في حلف الأطلسي لم توقع الاتفاقية مما يهدد الأمن القومي الروسي، وقد وقع

---

[22] Le Retour Russe, Serge Halimi, Le monde diplomatique,Septembre 2008.-

[23] - بيان وزارة الخارجية الأمريكية حول اتفاق التعاون الاستراتيجي بين الولايات المتحدة وبولندا، في 20 آب/أغسطس من العام 2008، منشورات وزارة الخارجية الأمريكية على موقعها: www.usinfo.state.gov

[24] - Nicolas Martin- lalande, op cit.

*** هذه المعاهدة التي وقعت العام 1990، وتمت مراجعتها في العام 1999، تضمن الأمن الأوربي ما بعد الحرب الباردة من خلال وضع سقف لمستوى القوات، ومنع أي تركيز للقوات العسكرية المزعزع للاستقرار غرب الاورال.**

الرئيس (بوتين) لاحقاً في 13 يونيو 2007م، قانوناً يحتم تجميد الاتفاقية، علماً أن دول حلف شمال الأطلسي لم تصادق على الاتفاقية، واشترطت أن تسحب روسيا قواتها الموجودة في جورجيا للتصديق على المعاهدة[25].

وكان الرئيس (فلاديمير بوتين) قد هدد بصراحة منذ شهر أب العام 2006م، بالانسحاب من المعاهدة حول القوات النووية المتوسطة، ونشر صواريخ قصيرة المدى في منطقة (كالينينغراد)، إذا ما تحقق المشروع الأمريكي.

ويذكر أن معاهدة نزع السلاح لعام 1987م، تهدف إلى التخلص النهائي من صنف كامل من الأسلحة، ونصّت على تطوير ونشر صواريخ باليستية، وصواريخ تقاطع ذات مديات متوسطة، ونصّت كذلك على تدمير القاذفات الأرضية[26].

وقد وصف وزير الدفاع الروسي آنذاك (سيرجي ايفا نوف) الذي أصبح كذلك نائباً لرئيس الوزراء، التوقيع على تلك المعاهدة بالغلطة الكبرى أمام مجلس (الدوما) في شهر فبراير/شباط من العام 2007م، وقد أعلن قائد القوات البالستية الإستراتيجية (نيكولاي سولوتسوف) بأنه سيستهدف المنشآت الأوربية للنظام الأمريكي المضاد للصواريخ[27]. وقد ضايق الرئيس الروسي نظيره الأمريكي مقترحاً التعاون في إقامة مثل هذا النظام للدفاع المضاد للصواريخ في إثناء قمة الدول الصناعية بداية حزيران العام 2007م، مقترحاً استخدام نظام رادار روسي يقام في أذربيجان، وإقامة لاقطات في العراق أو تركيا. (الرادار الروسي في جابالا في أذربيجان)[28].

وقد خففت موسكو بالقول: أن لا أحد من أعضاء حلف شمال الأطلسي قد وقع على النسخة المراجعة للمعاهدة، إذ أن الأعضاء يحتجون بعدم التصديق إلاّ عندما تسحب موسكو جيوشها لحفظ السلام التي تحتفظ بها منذ العام 1990م، فوق أراضي جورجيا ومولدافيا دون ولاية الأمم المتحدة[29]، ومعناها: انتهاكاً للمعاهدة حول القوات المسلحة التقليدية في أوربا.

وقد وعدت واشنطن كذلك ضم (أوكرانيا) إلى منظمة حلف شمال الأطلسي (NATO) عندما أقرّ مجلس الشيوخ الأمريكي مشروع قانون يطلب بدعم انضمامها إلى حلف الناتو*،إذ أن إخراج أوكرانيا من دائرة

---

[25] - "التحولات الكبرى في السياسة الخارجية الروسية"، مصدر سبق ذكره، ص44.

[26] - Nicolas Martin- lalande, op cit.

[27] - Ibid.

[28] - "التحولات الكبرى في السياسة الخارجية الروسية"، مصدر سبق ذكره، ص44.

[29] - لقد صدقت روسيا المعاهدة المعدلة في العام 2004م، كما صدقت عليها بيلاروسيا، وكازاخستان، وأوكرانيا، في حين رفضت دول حلف الأطلسي(26) دولة القيام بذلك، وأصرت على وجوب تنفيذ روسيا لما يطلق عليه (التزامات اسطنبول) أولا، وهي: سحب القوات الروسية من جورجيا، ومولدا فيا، رغم الرفض الروسي التام لذلك، انظر، "العلاقات الروسية- الأورو- أطلسية"، نورهان الشيخ، مصدر سبق ذكره، ص50.

*** أقر مجلس الشيوخ الأمريكي قانوناً يطلب بدعم انضمام ألبانيا، وكرواتيا، ومقدونيا، وجورجيا، وأوكرانيا، إلى منظمة حلف الناتو، وتخصيص نحو (20) مليون دولار لهذا الغرض، تحصل جورجيا على نصف أجمالي المبلغ المذكور، ويذكر أن التكتل الذي أنشئ من اجل منافسة روسيا الاتحادية: "مجموعة الخيار الديمقراطي"، يضم كل من: (جورجيا، وأوكرانيا، وأذربيجان، ومولدا فيا)، للمزيد انظر:"توسع الناتو....وإستراتيجية تطويق روسيا؟"، منشورات وكالة الإخبار الإسلامية بتاريخ 6 مارس/آذار العام 2008 على موقعها على الشبكة العنكبوتية:www.islamicnews.net/document/show**

نفوذ موسكو سيعمل على حرمانها من نقطة الارتكاز الجيوسياسية التي تتحكم في البلقان كما في القوقاز، فضلاً عن حرمانها من عمق جغرافي يضمن عمقها الاستراتيجي، ويقيّد تحريك الأسطول البحري الروسي في البحر الأسود[30].

وقد سبق أن خسرت روسيا الاتحادية الدول العازلة في البلطيق الثلاث (ليتوانيا، ولاتفيا، واستونيا)، التي ذهبت إلى ابعد حد عندما طلبت من الحلف حراسة أجوائها من "الانتهاكات الجوية الروسية"[31].

وبالمقابل حاولت روسيا الاتحادية استخدام أسعار الطاقة (النفط، والغاز)، من اجل معاقبة زبائنها الأوروبيين حلفاء الولايات المتحدة الأمريكية في سبيل انتزاع تنازلات جيوسياسية منهم، فقد مارست موسكو المساومات ضد جمهورياتها السابقة: أزمة الغاز ضد أوكرانيا في كانون الثاني العام 2006م، والتي كشفت جلياً أهمية الطاقة كسلاح ضد وارشو، وبرلين، وروما، وكذلك أزمة النفط ضد بيلاروسيا(مينسك) في كانون الثاني العام 2007م، وأخيرا حاولت الولايات المتحدة الأميركية عزل نظام بيلاروسيا، إذ أن العمل على جلب واصطفاف بيلاروسيا مع الغرب في (أحضان أوربا الجديدة)– كما يرى (دونالد رامسفيلد) وزير الدفاع الأمريكي السابق– تماشياً مع السياسة الخارجية والأمن القومي الأمريكي إلى جانب (بريطانيا،واسبانيا، وايطاليا، وبولندا، وبلغاريا، وهنغاريا، ورومانيا) سيحرم موسكو من ميزة التعاون والعمل مع الجيش البيلاروسي ذو السمعة الأفضل في أوروبا الشرقية والوسطى، وكذلك من العمق الاستراتيجي بعد الاقتراب من خط دفاع روسيا الاتحادية الأول[32].

وقد أطلقت أدارة الرئيس (بوش) حملة واسعة دولية لنشر الديمقراطية من اجل أثارة وزعزعة نظام الرئيس البيلاروسي(الكسندر لوكاشينكو)، وكذلك أيضا من اجل محاولة كسر الروابط بين (الكريملين) وما تسمية (كوندليزا رايس) وزيرة الخارجية الأمريكية (بآخر ديكتاتورية حقيقية في قلب أوربا)[33].

ويذكر أن الرئيس الأمريكي (جورج بوش) قد أصدر قانوناً في 9 نيسان/ابريل العام 2007م، يؤكد تأييد الولايات المتحدة الأمريكية لمتابعة توسيع حلف الأطلسي(NATO)، ويسمى تحديداً: (ألبانيا، وكرواتيا ،وجورجيا، ومقدونيا، وأوكرانيا)، أنظر: "حلف الأطلسي في بحثه عن مهام جديدة"، مجلة لوموند ديبلوماتيك، الطبعة العربية نيسان/ابريل 2008م. على الموقع
www.mondiploar.com

[30] - فقد ذكر وزير الخارجية الأوكراني(فلاديمير اوريزكز) مؤخراً انه قد تم إعداد مشروع قرار يحث أسطول البحر الأسود الروسي على مغادرة ميناء أوكرانيا بعد مدة الاستئجار، وسيقدم المشروع إلى البرلمان الأوكراني للمصادقة عليه. وقد وقع الرئيس الأوكراني (فيكتور يوشينكو) لاحقاً في20 آذار العام 2008م، على أمر يطالب الحكومة بوضع قانون لإلغاء جميع الاتفاقيات الدولية حول السماح ببقاء أسطول البحر الأسود في أوكرانيا، والذي كان من المقرر بقاؤه إلى حين مدة انتهاء عقد الاستئجار في العام 2017م، للمزيد انظر: "شدّ وجذب مرة أخرى بين روسيا وأوكرانيا حول أسطول البحر الأسود الروسي"، على الموقع:
www.arabic.cri.cn/361/2008/07/25/181 .

[31] - "توسع الناتو.... وإستراتيجية تطويق روسيا؟"، مصدر سبق ذكره،
وقد سبق أن فقد السوفيات الشواطئ على بحر البلطيق، عندما أعلنت البلدان البلطيقية الثلاثة (استونيا، وليتوانيا، ولاتفيا)، عن رغبتها في أن تصبح مستقلة، وذلك كان بتشجيع من قبل ألمانيا، واستقلت فعلاً منذ العام 1990م، وعلى أثر ذلك استعاد الغرب شواطئه من جديد، وألقى بروسيا إلى داخل القارة الاوراسية،انظر: موسى ألزعبي، مصدر سبق ذكره،ص101.

[32] -Nicolas Martin-Lalande,op cit.

[33] - Ibid.

وقد صوّت الكونغرس الأمريكي في تشرين أول من العام 2004م، على قانون نشر الديمقراطية في بيلاروسيا(Belarus Democraty act) ،يخوّل الإدارة الأمريكية مساندة التشكيلات السياسية المعارضة الموالية للغرب في بيلاروسيا وتمويلها ، فيما ينتظر البيت الأبيض كذلك مساعدة الدول المجاورة الموالية للغرب[34]، ويتهم الاتحاد الأوربي والولايات المتحدة الأمريكية بيلاروسيا بانتهاك الحقوق الأساسية خلال مدة حكم (لوكاشينكو) المستمرة منذ (14) عاماً، ويعملان على فرض عقوبات على البلاد، ومنها: منع دخول الرئيس، فضلاً عن تدابير عقابية ضد شركات روسيا البيضاء[35].

إلاّ أنّ العلاقات بين روسيا وبيلاروسيا هي علاقات متينة على الرغم من حساسية التنافس بين شخصي (فلاديمير بوتين) البراغماتي، و(لوكاشينكو) العقائدي، إذ يسعى كلاهما على ترسيخ شخصيته الكاريزمية.

لقد ساند الرئيس (بوتين) بيلاروسيا من خلال زيادة عقد القمم في سبيل توحيد البلدين، ووقع العديد من اتفاقيات التعاون التقنية– العسكرية* ، ونظما المناورات العسكرية المشتركة، فيما أكد رئيس بيلاروسيا على ضرورة تعزيز العلاقات مع موسكو مشيراً إلى أن بلاده لا تعتزم المساومة على علاقاتها مع روسيا مشيراً إلى أن أي محاولات لتحسين العلاقات مع الغرب لن تكون على حساب الروابط مع موسكو[36].

3–2– منطقة البلقان:

وكذلك الحال تتنافس الولايات المتحدة الأمريكية مع روسيا الاتحادية على مسرح البلقان،إذ أن خارطة البلقان تكمن فيها نوع من القابلية لولادة المزيد من الكيانات الصغيرة والمستعدة مسبقاً للارتماء في أحضان قوة كبرى تساعدها على البقاء والاستمرارية، وتجاوز المصاعب التي يضعها الخصوم والأعداء في طريق الاستقلال، وهو استعداد يشجع على الحروب والصراعات لاسيما عند الاحتكام إلى السلاح كحل وحيد[37].

فقد ساندت الولايات المتحدة استقلال المقاطعة الصربية ذات الأغلبية الألبانية في كوسوفو(التي تقع تحت السيطرة الصربية على الرغم من الإدارة الدولية لها منذ العام 1999م)، عن الحكومة المركزية في بلغراد، بعد أن قامت قوات حلف الأطلسي بأول عملية قصف جوي دون انتداب من الأمم المتحدة في 23 آذار/ مارس–

---

[34] - Ibid.

[35] - "لوكاشيكو يؤكد عدم خروج بيلاروسيا عن فلك موسكو"، على الرابط الآتي:
www.moheet.com/show-news.aspx.nid.

*** وقد أعلن وزير الدفاع الروسي (أناتولي سيرديوكوف) في اجتماع الهيئة المشتركة لوزارتي الدفاع الروسية والبيلاروسية إن البلدين سيجريان مناورات للقيادات وهيئات الأركان تحت اسم (الغرب 2009) العام المقبل بغرض توفير امن دولة الاتحادين روسيا وبيلاروسيا،انظر:"منظومة دفاعية موحدة بين روسيا وبيلاروسيا"، صحيفة تشرين الثاني السورية الخميس، تشرين الأول 2008م، على موقعها على الشبكة العنكبوتية:www.tishreen.info/pdiosp?filename**

[36] - وقال الرئيس البيلاروسي (لوكاتشيكو):" يلمح بعض الناس إلى أننا بدأنا نفكر في استبدال أوربا بروسيا، فنحن لا نجري مثل هذه المبادلات مع أي طرف، ولن نستبدل صداقتنا مع الروس".
انظر: لوكاتشكو يؤكد عدم خروج بيلاروسيا على فلك موسكو، منشورات شبكة المحيط ،7 أكتوبر 2008م على الشبكة العنكبوتية. www.moheet.com/show-news.ospx

[37] - استقلال كوسوفو ولعبة الأمم الجديدة، حسن أبو طالب، تحليلات عربية ودولية، منشورات مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية الأهرام، فبراير 2008م، القاهرة.

11 حزيران/ يونيو 1999م، ضد القوات الصربية[38]، وكان الاتحاد الأوربي قد اشترط على صربيا أجراء تسوية سلمية للنزاع ألاثني– الانفصالي في إقليم كوسوفو،ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن الإدارة الأمريكية الحالية تبحث على إعادة تلميع صورتها لدى المجموعة الإسلامية، تلك الصورة التي تدهورت بعد حربها على العراق العام 2003م.

وتبرر الولايات المتحدة الأميركية ذلك تمسكاً بحق الأغلبية الألبانية في حق تقرير المصير، وبالماضي العدواني الصربي (الإبادة في كوسوفو)، وخصوصية حالة كوسوفو[39].

وعلى العكس تساند موسكو بلغراد ضد استقلال كوسوفو بعد أن أدانت التدخل العسكري للحلف الأطلسي العام 1999م، وتنطلق موسكو من عدة اعتبارات في موقفها تجاه قضية كوسوفو، أولها: ضرورة احترام قواعد القانون الدولي التي تنص على احترام الحدود القائمة بين الدول والسلامة الإقليمية لكل دولة، فيما تتمسك روسيا الاتحادية بقرار مجلس الأمن الدولي المرقم (1244) الذي صدر في العام 1999م، بشأن كوسوفو، والذي ينص على احترام مبادئ السيادة، ووحدة الأراضي لصربيا، وتهيئة الأوضاع الديمقراطية الأساسية الضرورية للبت بصورة نهائية في صفة الإقليم مستقبلاً[40]. وقد أكد الرئيس الروسي (فلاديمير بوتين):" انه لا يمكن بناء السلام في أوربا بدون مراعاة القواعد الأساسية للقانون الدولي، بما في ذلك مبادئ اتفاقية هلسنكي"[41].

وفي الوقت الذي كان الرئيس الروسي السابق (بوريس يلتسين) عاجزاً عن تقديم الدعم للرئيس (سلوبودان ميلوسوفيتش)، وهو ينهار أمام قوات حلف الناتو في العام 1999م، فإنّ الرئيس (بوتين) كان يبحث على أظهار صرامة التزاماته وتعهداته قبالة حلفائه، فضلاً عن البحث على استعادة مكانة روسيا إقليميا ودولياً، زيادة على ذلك يمكن فهم الموقف الروسي المعادي تماماً لاستقلال كوسوفو بطريقة منفردة – كما حصل– استناداً إلى الروابط الخاصة على صعيدي وحدة العرق السلافي والديانة الأرثوذوكسية مع صربيا، وإلى جانب أن هذا الاستقلال سيؤثر في قوة الحليفة صربيا ووضعها الجغرافي والاستراتيجي، فهناك أيضا مخاوف روسية مشروعة من أن تؤدي هذه الطريقة في الاستقلال الأحادي من أثارة موجة مطالب استقلالية في داخل روسيا نفسها كالشيشان، والداغستان مثلا، وفي بلدان أخرى عبر العالم[42].

---

[38] - "حلف الأطلسي في بحثه عن مهام جديدة"،لوموند ديبلوماتيك، مصدر سبق ذكره.

[39] - من المنظور الأمريكي، يشكل استقلال كوسوفو الأحادي حالة خاصة وليست عامة، ارتبطت كما قالت الوزيرة الأمريكية (كوندوليزا رايس) بتلافي غير معهود لعدة عوامل بينها تفكك يوغسلافيا السابقة، وماضي التطهير العرقي، والجرائم ضد المدنيين في أثناء مدة الحرب بين الصرب والألبان، وفقدان صربيا الحق الأخلاقي في أن تحكم شعبها بسبب الوحشية التي استخدمتها ضدهم في ظل الرئيس الراحل (سلوبودان ميلوسوفيتش)، انظر:" استقلال كوسوفو ولعبة الأمم الجديدة"، حسن أبو طالب، مصدر سبق ذكره.

[40] - نورهان الشيخ، مصدر سبق ذكره،ص51.

[41] - Novo sti Press 9-16/7/2007.

[42] - الاّ أن موسكو وللمفارقة ناقضت نفسها حين اعترفت باستقلال إقليمي أبخازيا، وأوسيتيا الجنوبية، عن جورجيا، وهو ما يضعف من أخلاقية الموقف الروسي المساند لصربيا، والمناهض لاستقلال كوسوفو. انظر:حسن ابو طالب، "استقلال كوسوفو ولعبة الأمم الجديدة" ،مصدر سبق ذكره.

وتساند الولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك أوكرانيا فكرة ضم إقليم (بريدنيستروفيه)، إلى مولدافيا المقاطعة الواقعة بين رومانيا وأوكرانيا، ذات الأغلبية الرومانية، إذ كانت تحت سيطرة الجار الروماني لحقبات طويلة من التاريخ.

وبعد تفكك الاتحاد السوفيتي، واستقلال مولدافيا طرح بعض الراديكاليين المولداف فكرة الاتحاد مع رومانيا الأم، والذي أخاف الأقلية، ودفعها للمطالبة باستقلال مناطقها الذي تحقق بعد أشهر من المعارك الضارية خسرتها سلطات مولدافيا[43]. وقد اتهم الغرب روسيا الاتحادية قائلاً: أنها هي من قررت في واقع الأمر نتيجة الحرب، وعلى الرغم من ذلك، فقد نصت اتفاقية وقف أطلاق النار، والتي أبرمت في العام 1992م، على وجود عسكري روسي في الإقليم يقدر بنحو ألف وأربع مائة جندي، وترمي الدول الغربية: أن الصيغة المعدلة لمعاهدة الحد من القوات التقليدية في أوربا– (من المحيط الأطلسي إلى سلسلة جبال الاورال)– تلزم روسيا الاتحادية سحب جيوشها من كل من مولدافيا وجورجيا، فيما ترفض دول حلف شمال الأطلسي المصادقة على المعاهدة ما لم تسحب روسيا قواتها من إقليم (بريد نيستروفيه)، وهو الأمر الذي تعارضه روسيا[43].

ولما كانت عملية توسع الحلف الأطلسي محل تجاذبات حادة بين روسيا والغرب خيّرت موسكو مولدا فيا بين عضوية الحلف، وبين المحافظة على إقليم (بريدنيستروفيه)، ولم يكن قبالة السلطات المولدافية إلاّ التخلي عن رغبة الالتحاق بالحلف الأطلسي على أمل التوصل إلى تسوية في الإقليم، فيما تعتقد بعض التقارير الغربية: أن السبب الحقيقي لبقاء القوات الروسية في مولدافيا هو منع توسع الحلف الأطلسي[44].

وفي الحقيقة: أن ذلك هو احد أهداف الأمن القومي بالنسبة للكرملين يتمثل في عدم تعريض الواجهة الجنوبية الغربية لروسيا، والاحتفاظ بحيّز جغرافي لنشر القوات في البلقان، والبحر الأسود.

3-3- منطقة القوقاز:

تبلغ مساحة هذه المنطقة نحو (74) ألف ميل مربع، وهي اصغر مناطق آسيا من حيث المساحة، وتحتل هذه المنطقة نصف البرزخ اليابس الذي يفصل بين البحر المتوسط وبحر قزوين، وتكمن أهمية هذه المنطقة لاعتبارات عدة أهمها: انتاج النفط، ووفرة المحاصيل الزراعية المدارية، وتنوع تركيبتها السكانية، إذ تبرز ثلاث مجموعات بشرية ضمن المنطقة هي: (سكان جورجيا، والأرمن، والاذربيجان)[45]، وتتنافس الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا الاتحادية كذلك في منطقة القوقاز التي تكتسب أهمية إستراتيجية خاصة لدى واشنطن، إذ أن المنطقة هي نقطة العبور لتصدير موارد الطاقة من بحر قزوين و آسيا الوسطى إلى خارج الأراضي السوفيتية

---

[43] -المصدر السابق نفسه.

[43] - Nicolas Martin-Lalande,op cit.

[44] - "مولدافيا تقطف ثمار حرب القوقاز"، عبد الجليل المرهون، منشورات شبكة المحيط بتاريخ 2008/9/13م، نقلاً عن: صحيفة الخليج الإماراتية، انظر على موقع : www.moheet.com/showfile

[45] - وفيق حسين الخشاب واحمد حسون السامرائي، النمط الجغرافي للعالم القديم، منشورات كلية التربية ، جامعة بغداد، 1977،ص62-63

السابقة، وتموين الجيوش الأمريكية، والأطلسية في أفغانستان، فضلاً عن ذلك، فإنّ المنطقة هي عبارة عن خط يربط بين الغرب والفضاء العربي الإسلامي على الرغم من كونها منطقة عازلة في الوقت نفسه.

وتتنافس الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا الاتحادية بشكل أساسي على رهانات الثورة في الشيشان، والنزاعات المجمّدة في الجمهوريات السوفيتية السابقة الثلاث (أذربيجان، وأرمينيا، وجورجيا)، إذ تساند واشنطن سياسيا المجموعات المتمردة التي تطالب باستقلال الشيشان عن الفيدرالية الروسية، ومركزية الحكومة في موسكو، وتسعى واشنطن من وراء ذلك إلى العمل على تآكل عوامل القوة المادية والمعنوية لموسكو دون تفكك الفيدرالية الروسية[46].

فالمضيق القوقازي الواقع بين العوالم الروسية، والتركية، والإيرانية كان دوماً محط مطامع الدول الكبرى والإقليمية لفرط الأهمية الإستراتيجية لهذا الممر*. وقد وصف السيد (زبيغنيو بريجينسكي) مستشار الرئيس الأمريكي السابق للأمن القومي (جيمي كارتر)،- والذي كان مهندس الإستراتيجية الأمريكية المحفوفة بالمخاطر تجاه أفغانستان في العام 1980م، والمتمثلة في تقديم الدعم العسكري للإسلاميين من اجل الانتصار على الشيوعيين-، الرؤية الأمريكية قائلاً: "إن جورجيا تفتح أمامنا الطريق للدخول نحو النفط والغاز في أذربيجان، وبحر قزوين، وكذلك آسيا الوسطى، وأنها تمثل لنا ميزة إستراتيجية كبرى[47]،ولم يكن السيد (بريجينسكي) يشك في هذا التقلب عندما كان يرغب في طرد روسيا من القوقاز واسيا الوسطى من اجل ضمان تزويد الغرب بالطاقة عندما كانت روسيا تحتضر في عهد الرئيس (بوريس يلتسين)[48].

إذ بدأ حلف الناتو والولايات المتحدة الأمريكية تقديم المساعدات العسكرية إلى دول رئيسة في المنطقة، مثل: أذربيجان التي أصبحت ثاني اكبر قوة بحرية في المنطقة بعد روسيا[49] ، فيما وظفت واشنطن أنقرة من اجل حصر النفوذ الروسي في المنطقة، وتقديم المساعدات المالية إلى الثوار الشيشان. وقد سمحت واشنطن كذلك بتقديم الدعم المالي إلى المنظمات الإجرامية في الجمهوريات السوفيتية السابقة، ووافقت الولايات المتحدة الأمريكية كذلك على تدريب المتطوعين الإسلاميين على صناعة المتفجرات، والتعامل بها من قبل القوات الخاصة البريطانية[50].

وقد حثّ الرئيس (بيل كلينتون) والكونغرس الأمريكي روسيا الاتحادية منذ اندلاع الحرب ثانية في الشيشان العام 1999م،- بعد أن هاجم الثوار الشيشانين الجمهورية المجاورة في داغستان- للتفاوض على حل

---

[46] - Nicolas Martin-Lalande,op cit.

*** فقد تعرضت منطقة القوقاز إلى الغزو على يد روسيا في مواجهة الدولة الإسلامية بقيادة (الإمام شامل)، وتعرضت لمعارك ضارية من أجل الذهب الأسود في باكو، انظر:"وجهات نظر متقاطعة حول الجغرافية السياسية للقوقاز"، ريجيس جانتة، لوموند ديبلوماتيك تشرين الثاني /نوفمبر 2008م، نقلاً عن:**

Eric Hoelsti,A La comquete du Caucase, Epopee geopolitique et guerres d influence,Edition des Syrtes, Paris 2006.

[47]Blomberg News.12 Aout 2008 ,http://www.blomberg.com/.

[48] - Zbigniew Brezenski, Le grand Echiquier,Bayard,Paris 1997,et Serge Halimi,op cit.

[49] - "توسع الناتو... وإستراتيجية تطويق روسيا؟" ،مصدر سبق ذكره.

[50] - Nicolas Martin-Lalande,op cit.

سياسي عوضاً عن الحل العسكري. وقد نادت المجموعة المؤثرة القريبة من المحافظين الجدد" اللجنة الأمريكية من اجل السلام في الشيشان"، والتي يرأسها الثنائي (زيغنيو بريجينسكي) مستشار الأمن القومي السابق للرئيس (جيمي كارتر) و(أليكساندر هايغ) وزير الخارجية السابق للرئيس (رونالد ريغان)، بتحرير الشعب الشيشاني الذي ابعد بين العامي (1943م–1944م)، ومن ثم أقام ثانية في العام 1957م[51].

وترى روسيا الاتحادية النزاع في الشيشان تهديداً لمصالحها الحيوية القومية، إذ أن استقلال الشيشان سيعمل على تسريع التجزئة السياسية إن لم يكن تفكك الفيدرالية الروسية، ويغذي ديناميكية الانفصال في داغستان، وفي جمهوريات الفيدرالية في شمال القوقاز، وفي منطقة (كالينغراد)، وفي جزر (الكوريل)، وتتهم موسكو الولايات المتحدة الأمريكية بإتباع سياسة الكيل بمكيالين، عندما تعترف للشيشان بما لا تعترف به في العراق عند رفضها التفاوض مع المقاومة العراقية، وتتهمها بتقديم المساعدات العسكرية للحركة الانفصالية في الشيشان عبر شبكة من المؤسسات الأمريكية*[52].

وعند لقائه مع وزيرة الخارجية الأمريكية (مادلين أولبرايت) آنذاك بعد بضعة أسابيع من تسلمه السلطة عبّر عن انزعاجه على وجه الخصوص من التصريحات الأمريكية عن حقوق الإنسان في الشيشان واسيا الوسطى، وقال: "إن المنطقة بأكملها واقعة تحت حصار الإرهابيين، ولن يعيدها إلى السيطرة إلاّ إذا أتخذ إجراء لا يقبل التسوية، وقد حذر الولايات المتحدة الأمريكية قائلاً: لا تحاولوا الضغط لإخراج روسيا من هذه البلدان، وإلاّ سينتهي بكم الأمر إلى إيران ثانية في أفغانستان"[53].

وعلى الرغم من وجود (دياسيورا) أرمينية فاعلة في الولايات المتحدة الأمريكية فإن واشنطن تساند أذربيجان ضد أرمينيا في النزاع (الانفصالي–الانضمامي)، والمراهنة على المقاطعة الاذرية ذات الأغلبية الأرمينية في (ناكورنوكاراباخ)، وقد قلّصت الولايات المتحدة الأمريكية مساعداتها الاقتصادية إلى النصف، والعسكرية إلى الثلث تجاه أرمينيا، ويفسّر ذلك لاعتبارات جيوبوليتيكية، إذ يسمح خط أنابيب (باكو– تبليسي– جيهاني) الذي يعمل منذ العام 2006م،(والذي عارضته موسكو) بنقل النفط مباشرة من بحر قزوين إلى البحر المتوسط متجنباً المرور بالأراضي الإيرانية والروسية، وإزالة الاحتقان في حركة المرور من البحر الأسود عند مضيق البوسفور، هذا الخط الذي شددت الولايات المتحدة الأمريكية على اختطاطه بهذه الصورة كي يتفادى مسار الذهب الأسود لبحر قزوين، والأراضي الروسية والإيرانية[54].

---

[51] - Ibid.

* - ومن هذه المؤسسات:
-Intrnational Relief Association
-Chechen Relief Expenses.
-Islamic cercle of North America.

[52] - Ibid.

[53] - مادلين أولبرايت، مذكرة إلى الرئيس المنتخب، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2008، ص176.

[54] - Sylvan Tesson, Elogue de L Energie Vagabonde de L Aural a La Mediterranees par la Caspienne et le Caucase, Editions des Equateurs, Sainte- Marguerite sur-Mer,2007.
نقلا عن: "وجهات نظر متقاطعة حول الجغرافيا السياسية للقفقاس" ريجيس جانته،لوموند ديبلوماتيك تشرين ثاني/نوفمبر 2008، على موقعها:

ونظراً لوجود قاعدة إستراتيجية في أذربيجان (نظام الرادارات)، فإنّ موسكو تساند مع طهران، الحكومة الأرمينية، ولعل الأسباب والعوامل المعللة لذلك هي أسباب وعوامل عدة، طاقوية، وجيوستراتيجية، فضلاً عن عرقية–دينية، إذ ترغب روسيا الاتحادية المشاركة الفعالة في التعاون القائم بين أرمينيا وإيران حول الغاز الطبيعي ،وهي ترغب كذلك في زيادة عدد منشآتها العسكرية فوق الأراضي الأرمينية بعد انسحابها التام من جورجيا، فضلاً عن تميّز أرمينيا لكونها مقاطعة مسيحية–أرثوذوكسية في بيئة إسلامية.

وتساند الولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك الدول الأعضاء في حلف الناتو (NATO) حكومة جورجيا المركزية في إخضاع سيطرتها على مقاطعتي ابخازيا واوسيتيا الجنوبية اللتان أعلنتا انفصالهما الأحادي، وإعلان استقلالهما عن جورجيا في25 آب من العام2008م، ويذكر أن المقاطعتين تبحثان منذ مدة ارتباطهما على التوالي إلى الفيدرالية الروسية، واوسيتيا الشمالية، (وهي جمهورية مستقلة في الفيدرالية الروسية)، فيما تتهم واشنطن روسيا الاتحادية بالاحتفاظ بقوات حفظ سلام روسية فوق الأراضي الجورجية دون ولاية من الأمم المتحدة منذ عقد التسعينات، انتهاكاً لمعاهدة الحد من الأسلحة التقليدية في أوربا[55].

ويختلف الجورجيون ذوي الأغلبية المسيحية–الأرثوذوكسية أثنياً عن الابخاز والأوستيتيين، ودينياً عن الابخاز(ذوي الأغلبية المسلمة).

فإذا كان الأبخاز والأوسيتين الجنوبيين، على العكس من القاجاريين لا يملكون مجموعات أثنية أو دينية مشتركة مع الجورجيين، فانّ جورجيا تتمتع بنفوذ وسيطرة نفسية– سياسية على المقاطعتين منذ أن ضمت مقاطعة القاجار في العام 2004م، وتندد موسكو بالدعم المالي والتنظيمي الذي تقدمه بعض المجموعات الأمريكية إلى ((ثورة الورود)) في العام 2003م، الذين ساندوا أولى الثورات الملونة في جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق قبل الثورة (البرتقالية) في أوكرانيا، والثورة (السوسنية) في قرغيزستان، ولذلك ساندت موسكو حكومات أبخاريا، وأوسيتيا الجنوبية، والاعتراف باستقلالهم، وما تزال تقدم لهم المساعدة في ميداني المعلومات والبنى التحتية، في الوقت الذي تقيم فيه علاقات منفصلة مع (سوخومي) قلب الصناعات السياحية السوفيتية سابقاً[56].

وفضلاً عن ذلك تعمل موسكو على تحريك القوميين ومساندتهم من اجل معاقبة الحكومة الجورجية وردعها، ومن ثمّ الحيلولة دون انضمامها إلى حلف الناتو، وتحتج كذلك روسيا الاتحادية على تنظيم المناورات العسكرية لحلف (الناتو) في جورجيا في إطار "الشراكة من أجل السلام"، وبناء القواعد العسكرية للحلف في(سيناكي،وغوري)،ومن ناحيتها تعمل جورجيا على تعطيل انضمام روسيا الاتحادية إلى منظمة التجارة العالمية.

---

http://www.mondiploar.com

[55] - Michel TATU, Le lourd bilan du conflit Russo-Georgien, Chronique du 21 Aout 2008, Fondation pour la recherché strategique,FRS ,Paris .

[56]Ibid.-

3-4- منطقة آسيا الوسطى:

تغطي منطقة آسيا الوسطى ما يقارب من (17%) من مجموع أراضي الاتحاد السوفيتي السابق، ويعيش فيها على وجه التقريب (20) مليون نسمة، تكتسي المنطقة أهمية كبرى من الناحية الاقتصادية والجيوستراتيجية، إذ أنها منطقة غنية جداً بموارد الطاقة، والمعادن، والمياه[57]، وفي الوقت نفسه تمثل نقطة العبور من اجل تقديم الدعم للقوات الأمريكية والأطلسية في أفغانستان.

حيث تشكلت في هذه المنطقة خمس جمهوريات سميت بأسماء الغالبية من السكان في كل منها، حيث تقع جمهورية كازاخستان في الشمال، وهي من أكبرها، وتمتد جمهورية أوزبكستان إلى الجنوب الغربي من الجمهورية السابقة، وتقع جمهورية قرغيزستان إلى الشمال الشرقي من جمهورية أوزبكستان، وتمتد جمهورية كازاخستان إلى الجنوب الشرقي من أوزبكستان، وهي من اصغر الجمهوريات في هذه المنطقة، فيما تعدّ جمهورية تركمانستان آخر الجمهوريات الخمس ضمن المنطقة[58].

وتتنافس روسيا الاتحادية والولايات المتحدة الأمريكية في هذه المنطقة نظراً لما تكتسبه من أهمية اقتصادية وجيوستراتيجية، إذ تبحث واشنطن على ضمان الدخول الحر إلى نفط آسيا الوسطى، ونقله المضمون إلى خارج الأراضي السوفيتية السابقة، وعلى الرغم من تورط القوات الأمريكية في حربها في أفغانستان، إلاّ أن واشنطن تسعى كذلك إلى كسر عزلة جمهورية كازاخستان[59].

وقد حاولت الولايات المتحدة الأمريكية منذ إحداث الحادي عشر من أيلول العام 2001م، إزاحة روسيا الاتحادية عن آسيا الوسطى عبر طرق عدة، إذ عملت على تدعيم التمركز العسكري لقواتها، وقوات الناتو في أفغانستان، وأجراء مفاوضات مع بعض دول آسيا الوسطى على تأجير بعض الأراضي لإقامة قواعد عسكرية للناتو ،والولايات المتحدة الأمريكية في كل من أوزبكستان وقرغيستان، فضلاً عن دعم الانقلابات السلمية في السلطة لإزاحة عدد من الأنظمة الموالية لموسكو كما حصل في أوزبكستان وقرغيزستان في العام 2005م[60]، وكانت الثورات الملونة تهدف إلى القضاء على نفوذ موسكو، والتقارب مع الغرب الأوربي والولايات المتحدة الأمريكية.

ومن اجل الوقوف في وجه هذه الثورات الملونة التي تسربت إلى حديقتها الخلفية تمكنت موسكو من تقديم الدعم الكافي بعد أن كادت عدوى الثورة تنتقل إلى العمق الروسي.فقد عملت موسكو على مساندة الأنظمة الحاكمة في آسيا الوسطى في مقاومة الإرهاب، والحركات الإسلامية المسلحة، وتبادل المعلومات، والتنسيق

---

[57] - وفيق حسني الخشاب واحمد حسون السامرائي، مصدر سبق ذكره، ص54-55.

[58] - المصدر السابق نفسه، ص56.

[59] - يرى المتخصصون في الجيوسياسية(الجيوبولتيك) بأنه قد لا تكون هناك منطقة في العالم حظيت منذ سقوط الشيوعية، بمكانة إستراتيجية كتلك التي حظيت بها منطقة آسيا الوسطى، ففيها يجتمع كل شئ، حيث ميراث التاريخ، ووعود المستقبل، والثورات الشعبية، والتمردات والحركات الإسلامية المسلحة، وحقول النفط والغاز، وفيها أيضا المناورات العسكرية الصينية، والروسية، والأمريكية، انظر: "روسيا واسيا الوسطى،= = حماية المصالح واحتواء الأخطار"، عاطف عبد الحميد، مجلة السياسة الدولية ، العدد 170، أكتوبر 2007م، ص82.

[60] -" روسيا واسيا الوسطى"، عاطف عبد الحميد، مصدر سبق ذكره، ص84.

ألاستخباري لإجهاض الأنشطة المعادية، فضلاً عن حماية حدود هذه الدول البينية، وزيادة على تسويق المنتجات النفطية لهذه الدول في الأسواق الأوربية عبر شبكة الأنابيب الروسية[61].

وقد استغلت روسيا الاتحادية في الشلل الاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية في آسيا الوسطى من اجل توسيع دائرة نفوذها، فقد قامت روسيا الاتحادية بتقوية علاقاتها المؤسسية الأمنية والاقتصادية بدول من آسيا الوسطى، إذ تم إنشاء منظمة معاهدة الأمن الجماعي بموجب (ميثاق كيشناو) في 7 تموز من العام 2002م، وقبلها الجماعة الاقتصادية الاوراسية في 10 تشرين الأول من العام 2000م، والتي تضم (روسيا، وبيلاروسيا، وكازاخستان، وطاجاكستان، وأوزبكستان، وقيرغيزستان)، علماً أن لكل من المنظمة والجماعة الاقتصادية أمانة عامة في العاصمة موسكو، ولكن مع كل ذلك تتراجع تجارة روسيا الاتحادية مع دول الكومنولث باطراد، إذ وصلت إلى نحو (20%) فقط من التجارة الخارجية الروسية، قبالة(52%) مع الدول الأوربية[62].

وتعوّل روسيا الاتحادية على منظمة (شنغهاي) التي تعدّ احدث شكل من أشكال التعاون الإقليمي. وقد تشكلت المنظمة في 10 حزيران من العام2001م، كتطوّر لمجموعة عمل عرفت من قبل باسم (مجموعة شنغهاي) التي ضمت روسيا، والصين، ودول آسيا الوسطى لمواجهة الحركات الانفصالية، والتطرف الديني، والإرهاب. حاولت المنظمة في العام 2006م، توسيع نفوذها عندما وجهت الدعوة لإيران، والهند، وباكستان، للمشاركة في المنظمة بصفة مراقب. وقد أعلن في نهاية العام 2006م، عن السعي لتوحيد القوات الجوية بين الدول الأعضاء كخطوة أولى على طريق تشكيل تحالف عسكري مشترك[63] ،وتعلن هذه المنظمة نيّاتها في منافسة منظمة حلف شمال الأطلسي، وهي الفكرة التي عملت روسيا الاتحادية طويلاً لتحقيقها عبر إقامة مثلث استراتيجي–موسكو–بكين–دلهي.

3-5- منطقة الشرق الأوسط :

تعدّ منطقة الشرق الأوسط شبه خاصرة رخوة تحيط بجمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز اللتين تعدّهما موسكو جواراً قريباً لها فيه مصالح حيوية تعمل بكل طاقتها من اجل منع التعدي عليها، ولذلك كان اهتمام موسكو منذ انهيار الاتحاد السوفيتي بشكل خاص بكل من تركيا، وإيران، بعدّهما أكثر دول الشرق الأوسط رغبة في النفاذ إلى المنطقة، بحكم التشابك العرقي، والديني، واللغوي[64].

وتتنافس الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا الاتحادية بالوكالة على مسرح الشرق الأوسط. فقد تعرضت واشنطن إلى فقدان الثقة بها في المنطقة دبلوماسيا، واستراتيجياً، بسبب وقوفها الدائم إلى جانب إسرائيل من ناحية، ومن ناحية أخرى بعد أن أطلقت حربها على العراق في العام 2003م.

---

[61] - المصدر السابق نفسه، ص85.
[62] - "التحولات الكبرى في السياسة الخارجية الروسية"، محمد السيد سليم، مصدر سبق ذكره، ص44.
[63] - "روسيا و آسيا الوسطى، حماية المصالح واحتواء الأخطار"، عاطف عبد الحميد، مصدر سبق ذكره،ص84.
[64] - "روسيا والشرق الأوسط، أية دعوة"، إبراهيم عرفات، مجلة السياسة الدولية، العدد (170)، تشرين الأول 2007، القاهرة، ص74.

وهكذا انتهزت موسكو الفرصة بسبب ضعف الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة، وأصبحت منطقة الشرق الأوسط تمثل إحدى أولويات أجندتها للسياسة الخارجية، فبعد الاختراق شبه التام في تسعينات القرن الماضي[65]، قام الرئيس (بوتين) بزيارتين إلى المنطقة في العام 2005م، والعام 2007م، أعطتا الانطباع بعودة روسيا الاتحادية إلى المنطقة[66]

لقد حاولت موسكو أن تنتهز الفرصة من ضعف الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة، وحاولت الاستثمار في عملية السلام العربية الإسرائيلية، إذ أطلق الرئيس (بوتين) في أثناء لقائه بالرئيس (حسني مبارك) في القاهرة مبادرته لعقد مؤتمر دولي حول الشرق الأوسط من اجل توسيع مجال المساومات مع الإدارة الجمهورية في واشنطن، وفرض حالها كفاعل إقليمي رئيس، وقد تلقفت الإدارة الأمريكية الفكرة لتعوق عقد المؤتمر في موسكو وتسحب البساط من تحت إقدام روسيا الاتحادية التي رضيت بالاهانة، وشاركت على مضض في مؤتمر (انابوليس) في الولايات المتحدة الأمريكية العام 2007م[67].

ولعل عودة روسيا الاتحادية إلى المنطقة قد حددتها مصالحها الكبرى التي تمثلت في:

- مزاحمة واشنطن في المنطقة من اجل إنهاكها استراتيجياً لإعادة حساب موازين القوى العالمية لا سيما وان روسيا الاتحادية ترفض أن تظل قوة عالمية من الدرجة الثانية، وتصر على ضرورة إعادة تشكيل ميزان القوى العالمي. فقد وقفت إلى جانب إيران في بناء مفاعل (بوشهر) النووي، وزودت طهران بقدرات تكنولوجية* وقد بادرت موسكو إلى استقبال قيادات حركة (حماس) الإسلامية في فبراير من العام 2007م، وساندت الحركة على الرغم من رفضها التفاوض مع حركة فتح فيما رفضت إدراجها على قائمة المنظمات الإرهابية، وكانت قد استقبلت (خالد مشعل) رئيس المكتب السياسي للحركة في شهر شباط من العام 2006م[68].
- تحقيق المكاسب الاقتصادية على الرغم من أنهاك الولايات المتحدة الأمريكية استراتيجياً عبر تنشيط صادراتها من العتاد العسكري بأثمان السوق الحالية، فضلاً عن إيران شملت مباحثات الرئيس (بوتين) مع المملكة العربية السعودية على بيعها دبابات (T-90) الروسية المتطورة، ومع (الدوحة) لإنشاء منظمة لمصدري الغاز الطبيعي تضم:(روسيا، وقطر، والجزائر، وإيران، وتركمانيتان، وأوزبكستان،

---

[65] - "روسيا من بوتين إلى مدفيديف"، مصدر سبق ذكره،ص20.

[66] - "روسيا والشرق الأوسط، أية عودة"، مصدر سبق ذكره،ص72.

[67] -" روسيا من بوتين إلى مدفيديف"، مصدر سبق ذكره، ص20.

*** الرئيس (ديمتري مدفيديف) من مواليد 14 أيلول 1965م، في مدينة لينينغراد(سان بطرس بيرغ حالياً) درس القانون في الكلية نفسها التي درس فيها بوتين ثم فضل العمل في التدريس الجامعي، التقي في العمل مع بوتين في أدارة مدينة (سان بطرس بورغ) في العام 1991م، ويذهب البعض إلى انه عمل في المدة (1995م-1998م)، في جهاز الأمن الفيدرالي (في .اس. بي). انتقل (مدفيديف) في العام 1999م، إلى موسكو ليشغل منصب نائب رئيس جهاز الحكومة عندما أصبح (بوتين) رئيسا للوزراء، ثم انتقل الاثنان إلى (الكريملين) بعد تولي (بوتين) رئاسة الدولة ثم أصبح رئيسا للدولة بعد فوزه في انتخابات الرئاسة في روسيا الاتحادية في 2 آذار العام 2008م، انظر:"روسيا من بوتين إلى مدفيديف"،د. اشرف الصباغ، مصدر سبق ذكره، ص18.**

[68] - "روسيا والشرق الأوسط.... أية عودة؟"، مصدر سبق ذكره، ص73،وانظر كذلك إلى: "روسيا تتخلى عن الغرب"، ديمتري ترينين، مجلة الثقافة العالمية، العدد (198)، الكويت، حزيران 2008م ، ص27.

وفنزويلا). وقد ضاعفت روسيا حجم تجارتها مع إسرائيل بين العامي(2000م-2007م)، ليصل إلى (5ر1) مليار دولار، وتزويدها بالنفط والغاز لسدّ احتياجاتها.

- توسيع قاعدة التنسيق مع بلدان الشرق الأوسط، وفتح القنوات بين أجهزة الاستخبارات الروسية ونظيراتها في بلدان الشرق الأوسط العربية، وإجراء تدريبات مشتركة شملت إسرائيل منذ العام 2004م، على مكافحة الإرهاب[69].

وإذا كان الرئيس (بوتين) قد أعاد روسيا الاتحادية من جديد إلى بعض مناطق نفوذها التي فقدتها في مرحلة التسعينات من القرن الماضي، والتي يشعر الروسي بالمهانة عند ذكرها سيما وأن روسيا أصبحت بين فكي حلف (الناتو)، فإنّ الرئيس (ديمتري مدفيديف)* مطالب بالسير في طريق أصعب بكثير من الطريق الذي سلكه خلفه خلال السنوات الثماني الأخيرة الذي نجح في لملمة أشلاء روسيا الاتحادية بعد كوارث تسعينات القرن الماضي، وتمكن من إعادة روسيا إلى الساحة الدولية، وضرب رقماً قياسيا في زيارة عدد من الدول العربية، وهو ما لم يفعله أي زعيم روسي منذ زمن روسيا القيصرية.

4- التنافس و مستقبل العلاقات الروسية- الأمريكية:

تدعو الأوضاع الحالية للعلاقات الروسية-الأمريكية في الحقيقة إلى القلق والانشغال العميقين، إذ أنه، وان لم تندلع "حرب بادرة جديدة"، بعد بين الدولتين، فإنّنا لسنا بعيدين عن ذلك نظراً للمجريات، والتطورات، والأوضاع الحالية التي لا يمكن أن تستمر لزمن طويل.

لقد كانت نهاية الحرب الباردة تعبير عن نصر حققته الولايات المتحدة الأمريكية تخلصت فيه من خصم جيوسياسي نظير لها. وقد حددت الولايات المتحدة الأمريكية بعد تفكك الاتحاد السوفيتي هدفها المتمثل في الحيلولة دون السماح لظهور "قوة مماثلة" جديدة، ذلك الهدف الذي أصبح مصدر الإلهام لإستراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية.

وإذا كان الرئيس (بوتين) أول زعيم أجنبي يتصل بالرئيس (جورج بوش) بعد الهجمات في الحادي عشر من أيلول ليقدم تعازيه، ومن ثم أبداء روسيا الاتحادية تعاونا حقيقيا في الحرب ضد طالبان والقاعدة، وانضمامها إلى المبادرة الأمنية الهادفة إلى الحد من انتشار الأسلحة، وتأييد جهود الولايات المتحدة الأمريكية للضغط على إيران وكوريا الشمالية للتخلي عن برنامج التسلح النووي، فإنّ ذلك لم يكن مؤشراً على تحوّل جوهري في توجهات روسيا الاتحادية الخارجية، وإنّما على العكس كان قراراً نفعياً من اجل التعاون حول قضية محاربة "الإرهاب الإسلامي"، والمراهنة على أن ذلك التعاون سوف يفتح الطريق قبالة الاعتراف بروسيا الاتحادية كأحد الأقطاب التي لا غنى عنها في النظام العالمي ما بعد الحادي عشر من أيلول[70].

---

[69] - المصدر السابق نفسه، ص73.

*** وقد تعهدت روسيا الاتحادية رسمياً أن تتقدم وبشكل دائم الوقود النووي للمفاعلات التي أقامتها إيران. انظر طلال عترسبي، الجمهورية الصعبة،ط1، منشورات دار الساقي، بيروت ،2006م، ص96.**

[70] - "روسيا والغرب"، جيفري مانكوف، مجلة الثقافة العالمية ،العدد(148)،مصدر سبق ذكره،ص76.

فضلاً عن ذلك، فإنّ ارتفاع أسعار النفط، وتحرير الاقتصاد الروسي من الاعتماد على صندوق النقد الدولي قد منحا موسكو تفوقاً اقتصاديا على جيرانها لم تحققه قبل عشر سنوات، هذا التفوق الذي لم تتردد موسكو في استعماله في ممارسة نفوذها خاصة ضمن (كومنولث الدول المستقلة) في حقبة ما بعد الاتحاد السوفيتي، وزيادة على ذلك لقد تم تخطي حالة التقهقر في القوات المسلحة الروسية، فيما حققت الإستراتيجية الروسية نجاحاً في إخماد التمرد في الشيشان، والإبقاء على الشيشان ضمن الاتحاد الروسي[71].

وقد ذهب (سيرجى روغوف) مدير معهد الولايات المتحدة الأمريكية وكندا في أكاديمية العلوم الروسية إلى القول:" إن الشراكة الإستراتيجية الروسية–الأمريكية التي كان قد أعلن عنها في إطار التهديدات المشتركة المتمثلة في الإرهاب الدولي، وانتشار أسلحة الدمار الشامل، قد اتضحت أنها إعلان فارغ، إذ ارتكزت الشراكة بينهما على العلاقات الشخصية بين رئيسي الدولتين (بوتين، وبوش الابن)، ولم تتمتع بمؤسسات دائمة للتعاون العسكري والسياسي على غرار آليات التعاون بين الولايات المتحدة الأمريكية، وحلفائها في منطقة حلف شمال الأطلسي.

وزيادة على ذلك:إن غياب القاعدة الاقتصادية للتعاون بينهما هو كذلك عيب آخر، إذ أن الولايات المتحدة التي طوّرت علاقات اقتصادية وتجارية مع الصين الشعبية على الرغم من التناقضات الإيديولوجية والجيوسياسية التي أفضت إلى اعتمادية متبادلة بينهما، وكانت عامل استقرار، فإنّ القاعدة الاقتصادية للتعاون مع روسيا الاتحادية مفقودة في العلاقات بينهما.

وفي الوقت الذي ما تزال هذه العلاقات الشخصية بين الرجلين (بوتين، وبوش) مستمرة في ممارسة نفوذها الايجابي على العلاقات بين البلدين، فإن العام 2009م، ومع نهاية ولاية الرئيس (بوش)، ووجود الرئيس (مدفيديف) خلفاً لـ:(فلاديمير بوتين) في روسيا الاتحادية قد تكون سنة منعطف في العلاقات بينهما.

ولا غرابة فإن اللّغة ، والعبارات، والنبرة في الخطاب الأمريكي تشير كلها إلى العودة إلى حرب أخرى بدأت تدق أجراس الماضي، إذ إن الدعوة إلى مساندة العالم الحر، والتهديد بعزلة روسيا الاتحادية دولياً، والتذكير باجتياح تشيكوسلوفاكيا مؤشر على ذلك.

وقد أشار الوزير الروسي للشئون الخارجية (سيرجى لا فروف) هو الأخر هذا الانقسام السابق للعالم إلى كتلتين عندما طالب واشنطن بالاختيار بين تقديم الدعم، ومساندة جورجيا أو الشراكة مع موسكو، وكما لو أن القوتين تريان صعوبة في تكييف خطاباتهما مع المعطيات الجيوبوليتكية الجديدة[72].

---

[71] - المصدر السابق نفسه، ص70.

[72] - Le language de fermete des ETats Unies
http://www.rfi.fr/actufr/articles/107/articles70462.

الخاتمة:

من المعروف إن روسيا والولايات المتحدة الأمريكية لم تتحاربا فيما بينهما أبدا، بل كانتا تدعمان بعضهما البعض على الدوام لاسيّما في اللحظات الحرجة من التاريخ كما حصل في الحربين العالميتين الأولى والثانية، باستثناء مرحلة التوتر في حقبة الحرب الباردة التي تأزمت فيها العلاقات الثنائية بينهما، ومع ذلك فان المبادلات التجارية ظلت قائمة بينهما بهذه الصورة أو تلك .

أما اليوم ،فقد أصبح واضحاً أن صلح (يالطا) قد سقط فيما بدأ التجاوز على التوازن في القوى، للقدرات الجيوبوليتيكية لروسيا، ذلك التوازن الذي تشكل بعد انتصار الحلفاء على دول المحور، وبدأت للعيان– في الوقت الحاضر – بنية يالطا تميل إلى التحلل بطريقة متسارعة تاركة المجال للولايات المتحدة الأمريكية التي ترفض ثنائية القطبية، وتنتهج سياسة الأحادية القطبية من خلال الانفراد بالقرار والفعل عالمياً، والهيمنة على العالم، وهو ما أنشأ واقعاً جيوبوليتيكياً جديدًا على الصعيد العالمي مفعم بالشر، بعد الحروب في أوروبا وشلل المؤسسات

الدولية التقليدية من أمثال الأمم المتحدة، وعدوان (الناتو) على يوغوسلافيا، والعدوان الأمريكي على أفغانستان والعراق.

ما الذي على روسيا الاتحادية أن تفعله في هذه الحالة؟ وفي أي نهج تسير؟ أتندفع في سلسلة لا نهاية لها من التنازلات، أم تواجه الشر الذي تم إعداده لها بصورة متقنة لتطويقها ومن ثم تفكيكها بكل نقاء؟ وهل ستتحول المنافسة إلى مجابهة مستقبليةً وعودةً إلى أجواء الحرب الباردة؟أم ستبرز توازنات آسيوية جديدة أطرافها الرئيسة روسيا الاتحادية، والولايات المتحدة الأمريكية لتقاسم المصالح والنفوذ.

ومع كل ذلك، فان روسيا الاتحادية التي تنزع– على غرار الولايات المتحدة الأمريكية إلى استعمال القوة في النزاعات الدولية كما حصل في جورجيا، يبدو أنها تحصر اهتماماتها في المجال التجاري على النقيض تماماً من ماضيها السوفيتي– إذ أنها تعد من بين أقل الدول أيديولوجية في العالم، وأن لا تحتلّ الأفكار مكانةً مهمةً بينما تتبوأ المصالح منزلةً أسمى، وهكذا فليس من المستغرب أن تتركز أنظار النخبة على المصالح المادية.